العمارة الإسلامية والبيئة في اليمن في القرنين السابع والثامن الهجريين

(مدينة تعز وزبيد وإب نموذجا)

د . عبد الرحمن أحمد المختار
الأستاذ المساعد للتاريخ الإسلامي وحضارته بكلية التربية-جامعة عمران
د. عبدالرحمن أحمد حفظ الدين المصنف
الأستاذ المساعد للتاريخ الإسلامي وحضارته بكلية التربية صنعاء

الملخص

يهدف البحث إلى معرفة ارتباط العمارة الإسلامية بالبيئة في اليمن خلال القرنين السابع والثامن الهجريين في كلاً من مدينة تعز وزبيد وإب نموذجاً لأن هذه المدن كانت حين مدة الدراسة وما قبل ذلك عواصم لليمن وخاصة في عصر الدولة الرسولية ، أما أهمية البحث فتكمن في أنه سيساهم في إبراز الصورة المشرقة للحضارة الإسلامية في اليمن خصوصاً ودار الإسلام عموماً باعتبار أن اليمن كانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي الواسع. ولهذا فإن البحث سيتحدث عن اهتمام الإسلام بالعمارة والتعمير – كمدخل أو مقدمة – وعلاقة ذلك بالبيئة الطبيعية ثم الاجتماعية التي هي من فعل الإنسان وأن بقاء ذلك مرهون بمدى محافظة الإنسان عليها من الفساد ، ولتوضيح ذلك سيتكون البحث من المباحث أو المحاور التالية :

- الاهتمام بالجوانب البيئية عند اختيار المدن.
- التوسع العمراني باعتبار ذلك جانب حضري وبيئي.
- النماذج العمرانية في مدينة تعز(ثلاثة نماذج) .
- النماذج العمرانية في مدينة إب(نموذج واحد).
- النماذج العمرانية في مدينة زبيد(نموذج واحد).

ومن خلال حديثنا عن هذه النماذج العمرانية الثلاثة سنحاول أن نوضح الجوانب البيئية المتعلقة بها مثل استخدام المواد الاولية المتاحة من البيئة في البناء والاهتمام باتجاه المبنى وموقعه وشكله ثم الإضاءة والتهوية والتدفئة وكذلك الاهتمام بالعناصر الجمالية كالحدائق والبساتين ثم توصيل المياه إلى المباني أو المدارس أو القصور.

المقدمة:

إن العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة قديمة قدم الإنسان نفسه منذ وجوده على ظهر هذه الأرض, فعلاقته قائمة مع هذه البيئة من عدة أوجه من حيث إن غذائه وشرابه منها ومسكنه وأثاثه وجميع ما يحتاج إليه...الخ , ومن أوجه هذه العلاقة" العمارة" سوءاً أكانت بدائية أم حضرية , فالإنسان أستخلفه الله تعالى في هذه الأرض من أجل عبادته أولاً ثم من أجل تعمير هذه الأرض .قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [١] وقال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ } [٢] فمعنى أنشأكم من الأرض أي " ابتدأ خلقكم من الأرض وذلك أن آدم خلق من الأرض" [٣] . ومعنى استعمركم فيها أي "أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار" [٤] وقال بعض علماء الشافعية: " الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى على وجه الوجوب " [٥] . وقال الشوكاني: " أي جعلكم عمّارها وسكانها من قولهم أعمر فلان فلانا داره فهي له عمرى " [٦] . ولهذا كان من نعمة الله تعالى على عباده أن يسر لهم سبل العيش في هذه الأرض بأن ذللها لهم كي تكون صالحة لمعاشهم وأرزاقهم قال تعالى: {وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ } [٧] وقال تعالى {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ❖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا } [٨] وقال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [٩]

ومن جانب آخر نجد السنة النبوية الشريفة قد اهتمت هي الأخرى بهذا الجانب فالنبي صلى الله عليه وسلم قد حث على عمارة الأرض وغرسها في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم " من بنى بناينا من غير ظلم أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جارٍ ما انتفع به من خلق الله تبارك وتعالى" [١٠] وروى أبو هريرة

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .
(٢) سورة هود : الآية ٦١ .
(٣) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن جـ ٤ ص ٣٢٨٤ , دار الشعب , القاهرة , بدون (ط . ت) .
(٤) المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
(٥) المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
(٦) الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠ هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- جـ ٢ ص ت ٦٢٩ , المكتبة العصرية , بيروت لبنان ١٩٩٧ .
(٧) سورة النحل : الآية ١٥ .
(٨) سورة النازعات : الآية ٣٠ , ٣١ .
(٩) سورة الملك : الآية ١٥ .
(١٠) احمد بن حنبل : (الأمام)أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) مسند الأمام أحمد , جـ٣ , ص٤٣٨ , المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان , ط (الأولى) بدون (ت)

رضي الله عنه" عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن ما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علم علمه وولد صالح تركه أو مصحف وّرثه أو مسجد بناه أو بيت سبيل بناه أو نهر أجراه أو صدقة أخرجها في صحته وحياته تلحقه من بعد موته " [١] وعن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيله (غرسه) فليغرسها [٢] .

ولقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فلم يغيروا ولم يبدلوا ولم يحرموا شيئاً أحله الله تعالى وكذلك التابعين ومن بعدهم قال تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[٣] والمباني الجميلة من الزينة , فهم الصحابة والتابعون ذلك فكانوا يبنون ما يحتاجون إليه لسكناهم ولزينة بيوتهم ، ويكفي هنا- لكي لا نطيل- مثال واحد من عصر الصحابة ومثال آخر من حياة التابعين , فهذا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص(ت ٥٥ هـ) وهو من العشرة المبشرين بالجنة- كان له قصراً قد بناه خارج المدينة في حمراء الأسد وذلك على بعد ثلاثة أميال من المدينة [٤] , وفي رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص توفي في قصره بالعقيق خارج المدينة على بعد سبعه أميال منها [٥] , ولا نعلم أن كان هذا هو القصر الأول أم لا , لكن المرجح أنه قصر ثان , كون الأول في حمراء الأسد والثاني في العقيق.

وهذا الإمام مالك بن أنس رحمه الله (ت ١٧٩ هـ) صاحب الموطأ وإمام المذهب المالكي- كان له دار فاخره واسعة وجميلة نظيفة يسكن فيها ولكنها لم تكن ملكاً له وإنما سكنها إيجاراً وكان فيها من الأثاث والوسائد الشيء الكثير [٦] وكان رحمه الله إذ دخل الدار يقرأ قوله تعالى " {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } [٧].

نستنتج مما سبق أهمية تعمير الأرض وأن ذلك أصل من أصول الإسلام , على هذا الأصل أعتمد الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم , ومع ذلك فإن الشارع الحكيم-جلً في علاه لم يبح البناء لغير حاجة كالبناء العبثي الذي هدفه التفاخر والإسراف والتطاول قال تعالى: "{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ }[٨] وقال تعالى: {وَلَوْلَا أَن يَكُونَ

---

(١) ابن حنبل : المسند جـ ٣ ص ٤٣٨ .
(٢) أبن ماجه : الحافظ أبو عبد الله (ت ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه , حديث رقم ٢٤٢ جـ ١ ص ٨٨ دار إحياء الكتاب العربي، بيروت لبنان , بدون (ط . ت)
(٣) سورة الأعراف : الآية ٣٢ذ
(٤) الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , جـ ، حوادث ووفيات من ٤٠هـ - ٦١هـ ص ٢٢٠ تحقيق / د . عمر عبد السلام تدمري ط (الأولى) ١٩٨٥م , دار الكتاب العربي , بيروت لبنان .
(٥) المصدر نفسه : جـ ، حوادث ووفيات ٤٠هـ ٦١ هـ ص ٢٢١ .
(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٣٢ , ١٣٣، تحقيق / محمد نعيم العرقسوسي , اشرف على التحقيق / شعيب الأرنؤوط الأرنؤوط , ط (الثانية) ١٩٨٢م , مؤسسة الرسالة , بيروت لبنان , ابن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد (تـ ٧٩٩هـ) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص ١٩ , دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان , بدون(ط . ت) .
(٧) سورة الكهف : الآية ٣٩ .
(٨) سورة الشعراء : الآية ١٢٨ , ١٢٩ .

النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ❖ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ ❖ وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } [١].

فهذه من المحاذير التي نهى عنها الشارع الحكيم والهدف من هذا النهي أن البناء العبثي ولغير حاجه هوا إسراف وترف والإسراف والترف يقود إلى الفساد والفسوق المؤديان إلى هلاك العمران والإنسان . ولهذا فإن هناك قاعدة مهمة ترتبط بصلاح البيئة والعمران واستمراريتهما ألا وهي عدم الجحود والكفر والإعراض عن المنهج الإلهي الذي رسمه لنا الشارع الحكيم والذي تمت الإشارة إليه في أكثر من آية في القرآن الكريم قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ❖ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ}[٢] فهؤلاء سكان مأرب من أرض سبأ لما أعرضوا عن منهج الله أهلكهم الله ومزقهم شر ممزق . وقال تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }[٣] وهذا الجحود والإعراض هو الذي يقود إلى الإفساد في الأرض سواء كان مادياً أو معنوياً ويقود إلى الظلم مما يؤدي إلى الهلاك والدمار قال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً }[٤] وقال تعالى :{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[٥] لهذا كله نهى الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الأرض بشقيه المادي والمعنوي قال تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }[٦] وقال تعالى: {وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[٧] .

وهكذا نجد أن أي فساد يحصل في الأرض إنما هو نتيجة لما يرتكبه الإنسان من ظلم أو عبث او انحراف ، ولذلك فأن الدعوة من الله تعالى –خالق الإنسان والأرض بعدم الفساد في الأرض يقابلها الدعوة إلى شكره جلَّ في علاه على نعمه الكبيرة التي انعم بها على الإنسان واعطاه إياها في الملبس والمسكن والأثاث والوقاية من الآفات والحر والبرد، كل هذه النعم تتعلق بالبيئة والعمران ويجب على الإنسان شكر ربه عليها قال تعالى: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ❖وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ

---

(١) سورة الزخرف : الآيات من ٣٣ - ٣٥.
(٢) سورة سبأ : الآية١٥ ، ١٦ .
(٣) سورة الإسراء : آية ١٦ .
(٤) سورة الكهف : آية ٩٥ .
(٥) سورة الأعراف : آية ٣٢ .
(٦) سورة الروم : آية ٤١ .
(٧) سورة الأعراف : آية٥٦ .

تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ❖فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ❖يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ } [١]

هذه الآيات البينات وغيرها كثير فيها بيان واضح وعظة وتحذير وكلها تدعو الإنسان إلى الالتزام بالمنهج الإلهي وعدم الإفساد في الأرض حتى لا يحل الدمار والخراب قال ابن الأزرق[٢]: " إذا أنحرف الحضري عن استقامة دينه ودنياه بما ينطبع في نفسه من صبغة العوائد الموجبة لذلك فظاهر أن ذلك مستلزم لفساد المصر وخرابه , أما من جهة فساد الدين فمن وجهين أحدهما : ما يظهر فيه من الفساد المخل بنظامه المحفوظ برعاية الدين كالكذب والغش والحرابة والسرقة , والمقامرة والفجور في الإيمان والمجاهرة بالفسوق واطراح الحشمة حتى من الأقارب وذوي المحارم والثاني : ما تعود به عليه شهوة الزنى واللواط من فساد النوع الذي به عمرانه ذاك جملة ما يسترسل فيه مطيع هواه في اتباع الشهوات , وأما من جهة فساد الدنيا فمن وجهين أحدهما : المترفون إذا كثروا في المصر وفسدت أحوالهم واحداً واحداً تأذن الله في خراب نظامه والأخر أن الحضري لا يقدر على مباشرة حاجته ولا دفع مضارة وذلك لعجزه بما حصل له من الدعة أو ترفعه لما ربى عليه من الترف"

من خلال ما ذكرناه نؤكد على أن الإسلام قد عنى بالعمارة والتعمير ووضح ما يجب على الإنسان المسلم إذا أراد أن يستمر العمران وتستمر البيئة الأرضية والعمرانية على ما هي عليه وعلى ما خلقها الله تعالى بصفائها ونقائها دون أن يشوبها أي شائبة , لهذا كله نجد أن الحضارة الإسلامية في معظم دار الإسلام عموماً وفي اليمن خصوصاً قد استمرت لمدة زمنية طويلة , وعليه فإننا سنتحدث عن العمارة الإسلامية والبيئة في اليمن في القرنين السابع والثامن الهجريين في مدينة تعز وزبيد وإب فقط لنرى كيف أن الحضارة الإسلامية التي هي بمثابة ترجمة عملية لتعاليم الإسلام النظرية قد أهتمت بجوانب البيئة في العمارة ، ومن ثم فإن حديثنا عن العمارة والبيئة سيركز على جانبين أو أمرين , الجانب الأول عمارة المدن من حيث تخطيطها أو اختيار مواقعها ومن حيث التوسع في المظاهر العمرانية فيها بشكل عام , وأما الجانب الثاني فسيكون عن عمارة البنيان (القصور والدور والمدارس والمنازل أو البيوت) , وما يتبع ذلك من الحدائق والبساتين والزراعة والمياه , وسنحاول ان نوضح جميع ذلك من خلال المحاور التالية :

- العناية بالجوانب البيئية عند اختيار مواقع المدن .
- التوسع في المظاهر العمرانية في كل من زبيد وتعز وإب بوصفها جانب حضري وبيئي .
- النماذج العمرانية في مدينة تعز .
- النماذج العمرانية في مدينة إب .

---

(١) سورة النحل : الآيات من ٨٠ -٨٣ .

(٢) ابن الأزرق : أبي عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي (ت ٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك جـ ٢ ص٦٣١،٦٣٢ ط (الثانية) مكتبة الاسرة ، القاهرة ، بدون (ت)

- النماذج العمرانية في مدينة زبيد .

ومن خلال حديثنا عن هذه النماذج العمرانية للمدن الثلاث سنحاول وبحسب ما يتوفر لنا من معلومات ان نوضح الجوانب البيئية المتعلقة بها مثل : الحرص على استخدام المواد الأولية المتاحة من البيئة في البناء , والاهتمام باتجاه المبنى وموقعه وشكله , ثم الاهتمام بالإضاءة والتهوية والتدفئة , وكذلك الاهتمام بالعناصر الجمالية للمبنى , وكذا الاهتمام بالحدائق والبساتين (الحوايط) التي تحيط بالمبنى , وأخيراً الاهتمام بتوصيل المياه إلى المباني أو المدارس والقصور .

أولا : الاهتمام بالنواحي البيئية عند اختيار المدن :

كانت اليمن عموماً تسمى ببلاد العرب السعيدة ومن خصائصها "أنها تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وأثمارها ورعيها

هي الخضراء فا سأل عن رباع ❖❖ يخبرك اليقين المخبرونا" [١] .

فاذا كانت هذه هي اليمن بشكل عام فان المدن التي تم اختيارها للدراسة تعد من أفضل وأهم المدن ، فمدينة زبيد " من أحسن مدائن اليمن المعدودات وفيها إقامة الملوك ومن واديها ونخلها وثمراتها وأعمالها نستخرج الألاف والّكوك وفيها من العلم والعلماء ما يروي العطشان من شدة الظمأ .. ومدينة تعزَ أيضاً فهي مدينة حسنة وفيها من الخيرات المستحسنة ما تقرّ به عين الناظر ويطيب به القلب والخاطر فكم فيها من المطعومات الطيبات والأشجار المثمرات والفواكه اللذيذات والمشمومات الناظرات وفيها يحاذيها من المشرق مدينة إب وجبلة وما قرب منها يميناً وقبله .. وفيها منافع لا تحصى وخيرات لا تستقصى" [٢]

فهذه هي اليمن بشكل عام والمدن المختارة لبحثنا بشكل خاص وفي هذا المجال سنحاول أن نتتبع تاريخياً كيف تم اختيار هذه المدن واختطاطها موضعاً وموقعاً وكيف أن هذه المدن- وهذا من جميل المصادفات- كانت حين اختيارها عواصم لليمن، وهل هذا الاختيار كان متوافق مع البيئة بمعنى هل كانت هذه المدن حين اختيارها وحتى فيما بعد صالحة للسكن ومريحة وغير ضارة بأهلها أم لا ؟

مدينة ذي جبلة (إب) :

لم تكن تشتهر إب فيما مضى بهذه التسمية وإنما التي اشتهرت وكانت عاصمة اليمن في القرن الخامس الهجري هي جبلة أو ما يعرف بذي جبلة وأما إب فكانت قرية من قرى ذي جبلة [٣] وهي لا تبعد عنها كثيراً , وبالتالي فإن طبيعية ذي جبلة وإب متساوية , وعليه فكيف تم اختيار ذي جبلة لتكون عاصمة لليمن أيام حكم المكرم

---

(١) ابن الديبع : وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤ هـ) نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ص ٨٥ تحقيق / أحمد راتب حموش , ط (الأولى) , ١٩٩٢م ، دار الفكر المعاصر ، بيروت .

(٢) المصدر نفسه : ص٩٥ , ٩٦ .

(٣) ياقوت : ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ) معجم البلدان جـ ١ ص ٦٤, بيروت لبنان, بدون (ط , ت).

محمد بن علي الصليحي ثم في أيام زوجته السيدة بنت أحمد الصليحي , وهل هذا الاختيار كان موفقاً مع البيئة أم لا . يذكر لنا عمارة اليمني [1] أن الذي اختط المدينة هو عبد الله بن محمد الصليحي أخو السلطان علي بن محمد الصليحي وأن ذلك كان حين ولاّه أخوه حصن التعكر المطل على ذي جبلة والتي هي في سفحه (أي سفح الحصن) وأن ذلك كان في سنة ٤٥٨هـ , ويخبرنا عمارة – أيضاً بأن المدينة تقع بين نهرين جاريين في الصيف والشتاء . ثم لما توفي السلطان علي بن محمد الصليحي مَلَكَ اليمن بعده ولده محمد المكرم , واستمرت صنعاء هي العاصمة كما كانت في عهد أبيه , ثم بعد ذلك لما توفيت والدة المكرم تخلى المكرم عن الملك (الحكم) وفوض زوجته السيدة بنت أحمد والتي قامت بعد ذلك بالارتحال بجيشها إلى ذي جبلة وارتادتها وبنت فيها دار العز الأولى, ثم رجعت إلى صنعاء وقالت للمكرم : " أرسل يا مولانا إلى أهل صنعاء فليحتشدوا في غد وليحضروا إلى هذا الميدان فلما حضروا قالت له اشرف عليهم وانظر ماذا ترى فلم يقع طرفه إلا على برق السيوف ولمع البيض والأسنة . ثم لما توجهت إلى ذي جبلة قالت له : احشد أهل ذي جبلة ومن حولها , فلما اجتمعوا صبيحة اليوم الثاني قالت : " اشرف عليهم يا مولانا .. فلم يقع بصره إلا على رجل يجر كبشاً أو عاملاً يحمل ظرفاً مملؤاً بالسمن أو العسل . فقالت له : العيش بين هؤلاء أصلح وانتقل المكرم إلى ذي جبلة واختط بها دار العز الثانية في (ذي بور) وكان حائطاً فيه بستان وأشجار كثيرة وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى وأمرت الملكة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً " [2] .

ومن خلال مما سبق نلاحظ كيف أنه تم الاهتمام بالنواحي البيئية سواء البيئة السياسية أو الطبيعية أو الاجتماعية , نلاحظ أولاً كيف تم الاهتمام بالجانب البيئي المتمثل في المدينة الصغيرة المرتفعة التي يحيط بها نهران جاريان- أي الواديان اللذان يحفا المدينة من جانبيها – واللذانِ يجريان في الصيف والشتاء أي معظم السنه , وكيف أن هذا المكان تحيط به الأشجار الكثيفة والفواكه اللذيذة . كذلك البيئة الاجتماعية والسياسية المتمثلة في مسالمة أهل المنطقة وما حولها وعنايتهم بالزراعة والرعي فقط وهذا بخلاف أهل صنعاء وما حولها المشغولين بالقتل والاقتتال دائماً فالعيش بين هؤلاء وفي ظل هذه الطبيعة الخلابة أفضل ولذلك قام الملك بنقل عاصمة دولتهم من صنعاء إلى هذه المدينة الجميلة ثم انصرف بعد ذلك إلى بناء القصور والدور والمساجد وهذا هو العمران المرتبط بالبيئة الطبيعية النظيفة والجميلة التي توفر أفضل الظروف المناسبة للعيش الهني والكريم.

٢ – مدينة تعز :

وكما هو الحال في اختيار مدينة ذي جبلة إب فإننا نلاحظ –أيضاً أن المصمم المسلم سواء كان حاكماً مسئولاً أو رجلاً عادياً كان يراعي الجوانب البيئية الصحية والمناخية وهذا ما حصل عند اختيار مدينة تعز ثم

---

(1) عمارة : نجم الدين عمارة بن أبي الحسن الحكمي اليمني (ت ٥٦٩هـ) تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص ٧٧ تحقيق / كاي سنة ١٨٩٢م , ترجمة د. حسن سليمان محمود , ط (الأولى) ٢٠٠٤م ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء .

(2) المصدر نفسه صـ ٩٥ , ٩٦ ، الهمذاني : حسين بن فضل الله (الدكتور) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٣٦ , دار المختار، دمشق , بدون (ط . ت) .

اختطاطها , وفي هذا المجال يتفرد المؤرخ ابن خلدون عن المؤرخين اليمنيين أو غيرهم من المؤرخين بذكره للكيفية التي تم بها اختيار مدينة تعز عاصمة للدولة الأيوبية والتي جاءت على اعقابها الدولة الرسولية فيذكر بأن شمس الدولة توران شاه الأيوبي أخو السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استولى على الدولة التي كانت باليمن وهي دولة بني مهدي وذلك في سنة ٥٦٩ هـ " نزل زبيد واتخذها سبباً لملكه ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخيروا مكاناً صحيح الهواء والماء ليتخذ منه سكناً فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونزلها وبقيت كرسياً لملكه وملك بنيه ومواليهم من بني رسول كما نذكر في اخبارهم " [١] .

ولا مزيد من التعليق على هذا النص فمدينة تعز فعلاً طيبة الهواء والماء , وهي كثيرة الفواكه والثمار والأشجار وهذا ما ترتاح له النفس ويبتهج به الناظرون .

٣ - مدينة زبيد :

وأما زبيد فلم يرد عند إختطاط المدينة ما يفيد عن إرتباط ذلك بالجوانب البيئية – كمثل تعز واب – وكل ما ورد أن الذي اختط المدينة هو محمد بن عبدالله بن زياد وذلك بعد حروب شديدة حصلت بينه وبين أهل تهامة [٢] ومع ذلك فإن عدم ذكر المؤرخين للجانب البيئي عند اختيار موقع المدينة واختطاطها لا يعني بأنها كانت غير صالحة للعيش ، لأننا إذا ما بحثنا في صفة المدينة وطبيعتها فسنجد بأنها تتوافق مع المواصفات البيئية المريحة للإنسان فهي "على النصف فيما بين البحر والجبل ... ومن جنوبها الوادي المبارك المسمى وادي زبيد الذي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالبركة فليس في اليمن واد أبرك منه ومن شماله وادي رمع وقد دعى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبركة فهي مدينة مباركة بين واديين مباركين , ومن شرقيها الجبال الشامخة والحصون الباذخة .. ومن غربيها البحر الزاخر والسفن والمواخر والنخيل الباسقة والحدائق الفائقة " [٣] وقيل أنها " اختطت في موضع طيب أصلاً ومحلاً وأن هواها يزيد في ذكاء أهلها " [٤] ولأن كان هذا الخبر مبالغ فيه على ما يبدو إلا أن ما ورد في وصفها من قبل المؤرخ بن الديبع [٥] في عصرة (عاش في نهاية القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري) قد يؤيد ذلك حيث وصفها بأنها مدينة " واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه فيها العنب والرمان والتين والبلس وشجر النرجيل والقف والعناب وشيء يسمى الباذان والنخيل المبسوطة على كل لون أصفر وأحمر وأخضر وأجهر وفيها الموز الكثير والليمون والنارنج الحلو الحامض والفل الأبيض والياسمين

---

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ص ٦٣٢ , ٦٤٧ , دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان , بدون (ط . ت) .

(٢) الشجاع : عبدالرحمن عبدالواحد (الدكتور) تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الاربعة الهجرية الاولى ص ١٨٨، ١٩١ ط (الرابعة) ٢٠٠٢ ، مكتبة الاحسان صنعاء .

(٣) ابن الديبع : قرة العيون في اخبار اليمن الميمون ص ٢٣٠ تحقيق / محمد بن علي الأكوع ط (الثانية)١٩٩٨م .

(٤) ابن الديبع : الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ص ٤٨ . تحقيق / د . يوسف شلحد , مركز الدراسات والبحوث اليمن ، صنعاء ١٩٨٣م .

(٥) المصدر نفسه ص ٤٨ .

وزهرا الكاذي والريحان والوزاب والسنبر والأترج الأصفر , وبها عين جارية غزيرة الماء تأتي من شرقيها في سرب تحت الأرض حتى تقترب من المدينة ثم تظهر وتسقي جميع البساتين التي خارج المدينة والتي من داخلها وليس أهل المدينة محتاجين إلى مائها بل في كل بيت بئر في أي وقت أحبوا نزعوا منها الماء ويفضلونه على ماء العين المذكورة " ومن خلال هذا الوصف يتضح لنا فعلاً أن زبيد كانت مؤهلة بيئياً لتكون صالحة ومريحة لسكن أهلها , وهي وإن كانت حارة صيفاً معتدلة شتائاً إلا أن تلك الأشجار الخضراء من النخيل مع التين والرمان والعنب مع أشجار الزينة المختلفة المشمومة وغير المشمومة لا شك وأن ذلك كله مع توفر المياه يعمل على تعديل الجو الحار ليجعله بعد ذلك مريحاً ومعتدلاً .

ثانيا التوسع في المظاهر العمرانية :

شهد اليمن خلال القرنين السابع والثامن الهجريين نهضة معمارية كبيرة وخاصة في مدينة تعز عاصمة الدولة الرسولية التي كانت تحكم اليمن في هذين القرنين , فمدينة تعز كانت العاصمة الأولى وأما زبيد فكانت العاصمة الثانية , لأن تعز كانت مصيف بني رسول يصيفون بها وزبيد كانت مشتاهم , وأما مدينة إب فكانت من المدن المهمة بالنسبة لبنى رسول , لذلك فإن هذه المدن الثلاث وغيرها قد انتشر فيها العمران وتوسع ليشمل مختلف أنواع العمران حيث كان التوسع في بناء القصور والدور وما يحيط بها من البساتين والحوائط وغير ذلك من بناء السبل والسقايات ثم الحمامات والفنادق والأسواق وما يحيط بها من الدكاكين والمجازر والمعاصر...إلخ . وحتى لا يطول بناء الحديث فسنحاول أن نعطي لمحة سريعة عن هذا التوسع في هذين القرنين . ونظراً لأن المؤرخين كانوا يركزون على تسجيل بناء المنشآت العامة التابعة للدولة أو ملوكها وسلاطينها وأمراؤها وحاشيتهم من القادة والنساء أو العلماء والمشايخ فسيكون الحديث مركزاً عن هذه المنشآت العامة أكثر من غيرة .

ففي مدينة تعز كثر بناء المساجد في العصر الرسولي بحيث بلغت أكثر من عشرين مسجداً في المدينة دون ضواحيها مثل مسجد المغربة والمظفر ومسجد المحاريب وجامع ثعبات ومسجد كافور والسرح والمعلم والأمير يوسف بن منصور وغيرها[١] , وأما المدارس فقد بلغ عددها سبعاً وثلاثين مدرسة في مدينة تعز فقط[٢] منها المدرسة الوزيرية والغرابية اللتان بناهما السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول , والمدرسة المؤيدية التي بناها السلطان المؤيد , والمدرسة النجاحية التي بناها الأمير محمد بن

(١) كتاب تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور ، مؤتمر تعز على مر العصور جـ ٢ بحث خطط مدينة تعز في العصر الرسولي ص ٤٩٢ , ٤٩٣ , ٤٩٦ , ٤٩٧ ، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة , ٢٠١٠م

(٢) المرجع نفسه ص ٤٩٣ , ٤٩٤ , ٤٩٥ , ٤٩٦ .

نجاح والمدرسة الشمسية التي بنتها الدار شمسي ابنة السلطان المنصور عمر بن علي رسول [١] و غيرها من المدارس .

وأما القصور والدور والفنادق فهي كثيرة في تعز فقد وصل عددها إلى تسع وعشرين داراً وقصراً نذكر منها – منعاً للإطالة- قصر المعقلي بثعبات وقصر المنتخب ودار الشجرة ودار العدل [٢] . تحيط بها كثير من البساتين [٣] .وأما الأسواق فهناك سوق المغربة وسوق الخميس وكلها في حي المغربة وسوق عدينة في حي عدينة وسوق الوعد [٤]وغيرها وتذكر الوقفيات بأن تعز كان بها خمسه فنادق إضافة إلى بعض الحمامات العامة[٥]

وأما الدور العامة فهي كثيرة وكانت مبثوثة في جميع أحياء تعز في كل من حي عدينة والمغربة والمجلية والمحاريب وناحية الحبيل وحي الظاهرية وغيرها من الأحياء فالمصادر تذكر لنا هذه الدور بشكل عام ، فعندما انتقل الحكم من السلطان الأشرف إلى المؤيد في سنة ٦٩٦هـ يُذكر بأن: " دور المغربة وعدينة كادت أن تصيح من الفرح " [٦].

وأما في زبيد فيكفي أن نشير إلى أن السلطان الأشرف بن الأفضل , قد أمر في عهده بعمارة المساجد والمدارس في زبيد المندثرة وما أشرف منها على الهلاك فكانت المندثرة عشرة مساجد ومدارس وأما التي أشرفت على الهلال فكانت تسعة عشر مسجداً ومدرسة [٧] فهذه فقط التي كانت بحاجة إلى ترميم أو إعادة بناء وأما الصالحة فيذكر أن السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس الأفضل قد أمر بأن تعد المساجد والمدارس في زبيد وذلك في سنة ٧٩٥هـ فبلغ عددها مائتين وبضعا وثلاثين مسجداً ومدرسة , وعدت المعاصر فكانت سبعاً وثلاثين معصرة [٨] (أي معاصر الزيت) وهذا العدد يدل على كثرة عمارة المساجد والمدارس في زبيد في العصر الرسولي , ومن المحتمل جداً أن تعز كانت بها مثل هذا العدد وأكثر كونها كانت العاصمة الأولى إلا أن المؤرخين لم يذكروا لنا ذلك , وما تم ذكره عن تعز هو عبارة عن المدارس والمساجد التي ذكرت بالاسم والموضع .

---

(١) الخزرجي : أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر(ت ٨١٢هـ) العسجد المسبوك فمن ولي اليمن من الملوك ورقة ٢٠٨ , ٢٠٩ , ٣٠١ , صورة مخطوطه من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية جـ ١ ص ١٩٦ , ٢٤٦ , ٢٨٥ . تصحيح / محمد بن علي الأكوع , مركز الدراسات والبحوث ا ليمني صنعاء ط (ا لثانية) ١٩٨٣م .

(٢) تعز عاصمة اليمن الثقافية . بحث خطط مدينة تعز حـ ٢ ص ٥٠٠ , ٥٠١ , ٥٠٢ , ٥٠٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥٠٦ , ٥٠٧ .

(٤) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الإشرفية والمعتبية ورقة ١٢ , ٥٥ ، مخطوط من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع.

(٥) بلغ عدد الحمامات حوالي ستة حمامات (تعز عاصمة الثقافة : بحث خطط مدينة تعز جـ ٢ ص ٥٠٨ , ٥٠٩) .

(٦) ابن عبد الباقي : تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص ١٧٧ تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني , دار الحكمة اليمانية , صنعاء , ط (الأولى) ١٩٨٨م .

(٧) أبن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٣ .

(٨) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

أما في مدينة جبلة وإب فالمعلومات شحيحة مقارنةً بتعز وزبيد ، فيما يخص الدور والفنادق والمعاصر ، وأما المدارس والمساجد فقد كانت كثيرة في هذين القرنين ويكفي أن نشير إلى ذلك بالأرقام حيث كان بها سبع عشرة مدرسة [١] . إضافة إلى المدارس التي بناها بنو فيروز في مدينة إب ولا نعرف عددها ووقفوا عليها ما يليق بها وذلك في القرن الثامن الهجري [٢].

ومن خلال ماسبق نتوصل إلى أن التوسع المعماري في هذه المدن الثلاث كان كثيراً , وبالتالي فالسؤال المطروح هل كانت هذه العمارة تتوافق والنواحي البيئية هذا ما يمكن أن نعرفه في الصفحات التالية, ولكن لا بد من التوضيح هنا بأن المصادر التاريخية لم تكن تفصل لنا أوتصف شكل هذه المباني والمواد التي بنيت بها ولا الغرف أو الطوابق التي احتوت عليها وغير ذلك من التفاصيل المهمة إلا في القليل النادر ولذلك فإننا سنقتصر على نماذج معينة لكل مدينة بحسب ورودها في المصادر ثم بعد ذلك نتتبع النواحي البيئية التي تضمنتها , وسنكتفي بنموذج واحد أو أثنين لكل مدينة .

ثالثا: النماذج العمرانية في مدينة تعز :

لم تحدد لنا المصادر وصفاً معمارياً إلا للقليل من المباني وملحقاتها فهناك أول نموذج وهو قصر المعقلي في بستان ثعبات وهناك دار الضيافة بذي عدينة , والبيت التابع لمدرسة سلامة المؤيديه ونبدأ الحديث بقصر المعقلي : في بستان ثعبات:

قام ببنائه السلطان المؤيد , واستمر البناء فيه لمدة سبع سنوات وتم الإنتهاء منه في سنة ٧٠٨هـ وشكل بنيانه " مجلس طوله خمس وعشرون ذراع في عرض عشرين ذراع بسقفين مذهبين بغير أعمدة مثل هذا الطول بأربع رواشن[٣] وبين يديه بركة طولها مئة ذراع وعرضها خمسون ذراع على حافتها الأوز الصفر- تقريباً النحاس الأصفر- ترمي الماء من أفواهها وشاذروان قبالة المجلس بعيد المدى ينصب ماؤه إلى البركة .. وفي المجلس المذكور طشتان من الرخام حلزونيان الشكل ترى الماء يدور في جداولهما وفي صدر المجلس شبابيك تفتح على بستان عجيب المنظر وحسن المخبر وكذا الروشن الذي به حدث عن جماله ولا حرج" [٤] وقد حضر الأعيان والأمراء والعلماء والشعراء افتتاح القصر, وكان

---

(١) السنيدي : عبد العزيز بن راشد (الدكتور) المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية ص ٤٠٦ , ٤٠٧ , ط (الأولى) ٢٠٠٣م .

(٢) الجندي : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ) السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ١٦٤تحقيق / محمد بن علي الأكوع , مكتبة الإرشاد ، صنعاء ط (الأولى) ١٩٩٣م .

(٣) خشب يخرج من حائط الدار إلى الطريق ولا يصل إلى جدار أخر يقابله فإن وضعت به إعمدة لحمله فهو الجناح وإلا فهو الروشن ، كما يعرف بأنه شُرفة تطل على خارج البيت وتحتل مكاناً بارزاً على سطحه [غالب : عبدالرحيم غالب (الدكتور) موسوعة العمارة الإسلامية ص ٢٠٧ ، ط (الأولى) ١٩٨٨م ، مكتبة جروس برس ، بيروت] .

(٤) ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٢٥١ , ٢٥٢ .

السلطان ينظر إليهم من الطبقة الثانية [١] .ومما يذكر أيضاً" أنه كان يطلع إليه _ أي إلى القصر أثناء عمارته _ في كل يوم نحو من سبعين بغلة من الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج [٢] ومرخم ومزخرف ومصور خارجاً عمن يركب الحمير ومن لا يركب من اتباعهم وهذا عدا صناع البلاد وهم أضعاف أضعافهم" .[٣]

وإذا ما جئنا لنُسقط النواحي البيئية على هذا القصر فسنجد

أولاً : أن المصمم قد تنبه إلى اشياء كثيرة تتعلق بالبيئة مما يجعل هذا القصر أكثر راحة عن غيره من المباني فهو قد بُنيَ في بستان ثعبات الذي وصف بأنه" نزهة الدنيا " [٤] وقد ذكر أن السلطان المجاهد جعل في هذا البستان " المخترعات الفائقة والبساتين الرائعة" [٥] وكان السلطان المؤيد يعمل في هذا البستان دعوة الورد حيث يدعوا الأمراء والوزراء إلى البستان ليتنزهوا وتقدم لهم الأطعمة والفواكه المختلفة مما هو موجود في هذا البستان [٦] وفي هذا البستان يوجد قصر أخر اسمه الديباج بناه السلطان الأفضل وكان يغرس فيه من أشجار الزينة المتنوعة المشمومة مثل الفل الأحمر والأخضر والأزرق والأبيض وورود وغير ذلك [٧]

وثانياً لا شك وان المصمم قد راعى بأن يكون موقع هذا القصر – المعقلي- في وسط هذا البستان المليء بالأشجار, ومن ثم سيكون اتجاه هذا القصر إلى مختلف الاتجاهات الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية , وأما تخطيط القصر- كما رأينا- فقد كان مناسباً ليكون سكناً للسلطان من حيث طول وعرض المجلس وما يحيط به من بركة طويلة . لعلها مسبح . وكذلك الشذروان يصب الماء إلى أعلى ويرجع إلى أسفل إلى البركة وهذا بحد ذاته يعطي مزيداً من تلطيف الجو أيام الصيف كما يعطي منظراً رائعاً وجميلاً تقربه النفوس.

وثالثاً إذا ما نظرنا إلى تهوية القصر وإضاءته وتدفئته أيام الشتاء فنجد أن المصمم لم يغفل عن ذلك فهناك الرواشين وهي أربعة , وهي الشرفات الي تطل على خارج البيت أو تكون بارزةً إلى الخارج

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٢.

(٢) المكندج من كندوج و الكندوج بالفتح (شبهُ المَخْزَن) وفي المصباح وضِّمت الكافُ لأنه قياس الأبنية العربية وهي الخزانة الصغيرة (معرب كندو) (وكُنْدَجَةُ الباني في الجدران والطيقان مَولَّدةَ) لأن الكاف والجيم لا يجتمعان في كلمة عربية إلا قولهم رجل جكر كذا في المصباح [الزبيدي : السيد محمد مرتضى الحسيني (ت٨١٦هـ) تاج العروس من جواهر القاموس ج٥ ص١١٨٨، تحقيق / عبدالستار أحمد فراج ، بدون(ط) ، ١٩٦٥م ، لجنة التراث العربي ، دار الهداية]

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلوية جـ ١ ص ٣١١ .

(٤) بامخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ) النسبة إلى المواضع والبلدان , القسم الأول ص ٣٧٣ . تحقيق / محمد عبد الله المعلمي , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب جامعة صنعاء ٢٠٠٥م

(٥) الخزرجي : العقد الفاخر ص ٣٧٩ .

(٦) ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٢٣٨ , ٢٣٩ .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية حـ٢ ص ١٨٨ , ١٢٠ .

وهي تسمح بمرور الهواء الذي يلطف جو المجلس , وهناك أيضاً الشبابيك الأخرى في الجهة الثانية من المجلس والتي تفتح على البستان الذي به من الأشجار والثمار الكثير وهذا بدوره يعطي المزيد من الإضاءة والمنظر الحسن للجالسين في الجهة الثانية من المجلس وعليه فإن الإضاءة والتهوية في هذا القصر متكاملة , أما العناصر الجمالية فحدث عنها ولا حرج فهناك السقفان المذهبان بدون أعمده , ولعل السقف رفع على عقود مخفية ثم سقفت بعد ذلك بالخشب ثم عمل لها الديكور المذهب , وهناك الأوز الأصفر الذي يرمى بالماء من على حافة البركة , وهناك الطشتان من الرخام اللذان في وسط المجلس على شكل حلزوني يدور الماء في جداولهما , ثم هناك الزخارف والرسوم والرخام والمكندجات وغيرها من مظاهر الزينة والجمال سواء داخل القصر أو خارجه ، وبما أن بنائه قد استغرق سبع سنوات فلا شك بأنه كان غاية في الجمال حتى قال عنه بعض الواصفون بأنه يتكون من " رخام ومن نضار , وبهتت عند رؤيته الأبصار , سما فليس له في شكله نظير وعلا فلا شبيه بالخورنق ولا السدير اجمع أرباب اختراق الأفاق أن لا نظير له في مصرهم وشامهم والعراق" [١] وأما البستان المحيط بالقصر وثماره وأشجاره مع الماء المحيط به في البركة فلقد اهتم بها أيضاً المصمم غاية الاهتمام . لذلك كله نجد أن هذا القصر قد استكمل تقريباً كل عناصر البيئة الجمالية والطبيعية الممتازة .

ولعل القائل يقول إن هذا البناء من الإسراف أو العبث , إلا أن الآخر قد يجيب عليه فيقول بأن الزينة غير محرمه قال تعالى : " قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق "[٢] وبغض النظر عن هذا الرأي أو ذاك فالمرجح هو أن (سلاطين بني رسول) كانوا يعطون كل ذي حق حقه مما جعل هذه الدولة تستمر لمدة قرنين من الزمان وزيادة وما ذاك إلا لعدلهم واهتمامهم بالعلم والعلماء الأمر الذي يعكس روعة الحضارة الإسلامية وديمومتها .

وحتى عندما ننظر إلى مسميات قصورهم ودورهم نجد أن لها دلالات تدل على أحوالهم المحمودة والقيم السامية التي كانوا يتحلون بها فمثلاً دار العدل ودار الوعد ودار السلام ودار الأمان ودار الشكر والشريف والقصطال والنصر[٣] كل هذه المسميات لهذه الدور والقصور ألا تدل على العدل والوفاء بالوعد وشيوع السلام في حياتهم وكذا أهمية الشرف فيما بينهم , وفي الجانب الأخر دار الديباج والأخضري والشجرة والسرور والنعيم والفردوس والسعيدة [٤] هذه المسميات ألا تعكس الجانب الآخر

---

(١) ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٢٥١ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٢
(٣) الخزرجي: العقود اللؤلؤية حـ ٢ ص ١٨١ , ١٩٦ , ٢١٨ , ٢٢٦ , ٢٥٩ , العسجد المسبوك ورقة ٤٨١ ، أبن الديبع : بغية المستفيد ص ١١٩ .
(٤) مجهول: تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ص ١١٤ , ٢٠٣ , ٢٠٤, ٢٠٥, ٢٠٦ . تحقيق / عبد الله محمد الحبشي , دار الجيل صنعاء , ١٩٨٤م , ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٩ , ١١٥ .

من حياتهم والذي لا بد للنفس من أن تستروح خاصة في ظل وجود المال بوفرة وهيبة السلطان , كل هذا يدل على أنهم كانوا في سرور ، ونعيم ولكن وبحسب ظننا بما لا يؤدي إلى الخروج عن الحلال والوقوع في دائرة الحرام وهذا يعكس الجانب الصحيح من البيئة الاجتماعية والسياسية .

دار الضيافة بحي ذي عدينة :

أما هذه الدار فقد بناها السلطان المظفر يوسف عمر بن علي بن رسول(ت ٦٩٤هـ) وما يهمنا فيه هو الاستدلال على استخدام المواد الأولية المتاحة في البيئة من أجل البناء فقد خرج المظفر يوماً إلى الشعبانية وهي منطقة خارج تعز فوجد بها داراً كبيرة قد صارت متهدمة , فسأل عن أهلها حتى دُل عليهم وعرفهم ثم اشتراها منهم ثم قام بنقل أحجار هذه الدار على الجمال إلى موضوع الدار وبنى بها دار الضيافة [١] , كذلك ادخل في بناء الدار الآجر [٢] . ولم يشر المصدر من أين تم أخذها , وعليه فلعل معظم مباني تعز كانت من الأحجار وربما أدخل مع الأحجار الآجر. ومن الأمور الإيجابية هنا أن السلطان المظفر قد استخدم أحجار جاهزة لدار متهدمة فهو يقوم بعملين الأول : إزالة المخلفات التي قد تعطي منظراً غير حضارياً لبيت أو دار متهدمة لا فائدة منها والثاني : الاستفادة من تلك الاحجار في بناء دار جديدة وهي دار الضيافة وهذا بدورة يمثل جانباً مهماً من جوانب البيئة.

بيت المدرسة المؤيدية :

هذا البيت تابع للمدرسة المؤيدية أو مدرسة سلامة المؤيد , والذي قام ببناء المدرسة والبيت –تقريباً هو السلطان المؤيد بتوكيل من كريمته سلامة , والوقفية التي من خلالها حصلنا على المعلومات عن هذه المدرسة تشير إلى شكل وتفاصيل بنيان هذا البيت من بابه – مدخله- وحتى سطوحه ففي الوقفية أن " صورة بنيانها حينئذٍ باب شرقي يدخل منه إلى دهليز ثم إلى قاعة أرضية فيها محراب ومطبخ وبيت راحة وباب غربي يخرج منه إلى بركة الحائط والإيوان الموقوف على المدرسة المذكورة والإيوان يماني البركة المذكورة , ثم يصعد من القاعة الأرضية بدرجة إلى الحافة العليا في وسط الدرجة خلوة صغيرة ثم يصعد منه إلى شربخانة [٣] ثم يدخل إلى قاعة فيها إيوان يماني ومجلس شرقي وشباكين

---

(١) الخزرجي : العقد الفاخر ص ٢٢٩ .

(٢) الآجر : طبيخ الطين فارسي معرب ، وواحدته (آجرّه) وهو من أهم المواد الي استعملت في البناء وما زالت في كل البلدان الاسلامية خاصة في الاماكن التي يعز فيها الحجر ، والآجر من اولى المواد التي استعملها المسلمون في ابنيتهم [ابن سيدة : ابو الحسين علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي ت ٤٨٨هـ المخصص جـ ١ ص٥٥٠ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بدون (ط ، ت) ، غالب : موسوعة العمارة ص ٢٧ ، ٢٨]

(٣) الشربخانة : بيت الشراب وفيه شتى انواع الاشربة التي يحتاجها السلطان فضلاً عن الاواني النفيسة المصنوعة من الصين الفاخر [دهمان : محمد احمد ، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص ٩٧،ط ١٩٩٠ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان] .

وطيرمة [١] فوق الإيوان الوقف المذكور فيها شباك يماني يشرف على الطريق وحائط الوقف الأعلى وروشن يشرف منه على البركة بحايط الوقف الأسفل ثم يخرج من القاعة إلى بيت راحة ثم يصعد بدرجة إلى قاعة أخرى فيها منظرة تشرف إلى الحايط أيضاً فيها شباكان قبلي وغربي ثم يصعد بدرجة أخرى إلى سطوح الأبنية المذكورة " [٢] ومن خلال هذا النص التوثيقي الرائع نلاحظ بأن المصمم المعماري لهذا المبنى قد استطاع أن يراعي عدة أمور فالمنزل أولاً متعدد الأدوار لتعدد الاستخدامات فهو يقع في حوالي ثلاثة أدوار فالدور الأرضي به بابان شرقي وغربي الغربي يخرج منه إلى الحايط . البستان . الذي فيه البركة وفي الدور الأرضي دهليز التي هي الصالة أو مدخل الغرف ثم قاعة منفصلة لعلها فسيحة وفي هذه القاعة محراب تقريباً للصلاة وهناك مطبخ وبيت راحة (الحمام للأستخدام الشخصي مثل قضاء الحاجة أو الوضوء وغيره) ثم الدور الثاني يبتدأ بالدرج وفيه خلوة صغيرة- تستخدم مخزن تقريباً أو غرفة صغيرة- ثم إلى الشربخانة في الدرجة نفسها وهي المشربية أو النافذة الخشبية البارزة خارج جدار المبنى والتي يبرد فيها الماء ثم إلى قاعة فيها إيوان ومجلس شرقي فيه شباكين من أجل الإضاءة , ثم هناك الطيرمة فوق هذا الإيوان والتي تشرف على جميع الاتجاهات والطيرمانة هذه تمثل جانب حضري في هذه المدة الزمنية من القرن الثامن الهجري ولعل الرسوليين هم أول من أوجد هذا الفن المعماري في اليمن , وفي هذه الطيرمة شباك يماني يطل على الطريق وفيها- أيضاً- روشن وهي الشرفة البارزة التي تطل على خارج البيت ولعلها تسمح بدخول الهواء البارد في فصل الصيف وهذا الروشن أيضا يطل على البركة , ثم في هذا الدور ومن قاعته يخرج إلى بيت راحة وهذا أيضاً في الدور الثاني ثم هناك قاعة أخرى مرتفعة يتم الصعود إليها بدرجة وفيها المنظرة والمنظرة بلغة أهل اليمن معروفة وهي أعلى مكان في المنزل ينظر منها إلى ما حوله من المناظر وأحياناً يسميها أهل اليمن مفرج وفي هذه المنظرة التي تشرف على الحايط . مما يعطي منظراً جميلاً . شباكان قبلي وغربي .

إذن هذه التصميمات المتعددة الأوجه والأستخدامات في هذا البيت تعطي الساكنين الكثير من الخصوصية والإطمئنان والراحة إذ أن المصمم لم يغفل الحمام في الدورين إضافة إلى المطبخ وهو في الدور الأول مما يجعل الروائح أو الدخان لا ينتقل إلى الطابق الثاني وهناك الطيرمة ثم المنظرة بحيث تتعدد الإتجاهات وتتعدد النوافذ إضافة إلى ذلك فهناك الحايط الأعلى والحايط الاسفل وفيهما

(١) لم نجد لهذا المصطلح وجود في المعاجم اللغوية أو المعمارية أو الأثرية التاريخية التي بين أيدينا ، إلا أنه في مدينة صنعاء القديمة يطلق عليه الطيرمانه أو المنظرة وهي الغرفة التي تبنى في أعلى البيت بحيث تُبنى اولا غرفة بنفس حجم الطيرمة من تحت ثم تُبنى الطيرمانة من فوق بحيث أنها تطل على خارج الدار من جميع الاتجاهات ، وبحيث تُشاهد من خارج الدار ، وغالباً ما تُبنى في الدُور التي تتكون من أربعة ادوار وما فوق .

(٢) الوفقية الغسانية : وقفية المدرسة المؤيدية ورقة ٧٤ .

بركة الماء مما يعني وجود حديقتين في هذا البيت مع وجود الماء و كل هذا فيه تعدد للجوانب البيئية المختلفة.

رابعا: النماذج العمرانية في مدينة إب:

لم نجد في المصادر التي بين أيدينا تفاصيل معمارية للمباني في مدينة إب سوى ما ذكرته الوقفية الغسانية عن المدرسة الياقوتية في ذي السفال التابعة لإب والتي تعد مدينة مصغرة للآثار الإسلامية . ولذلك فلقد أكتفينا بهذا النموذج وهو :

المدرسة الياقوتية في ذي السفال :

تقع (ذي السفال) في السفح الجنوبي من جبل التعكر في أعلى وادي ضباء المشهور بخصوبته والقرى المتناثرة الزاهية فيه , وذي السفال مدينة نزهة جميلة تقع جنوب مدينة إب بمسافة ثلاثة كيلو متر [١] .

والمدرسة الياقوتية في ذي السفال لازالت باقية إلى اليوم وهي جوار رباط البريهي ولكنها مهملة ولم ترمم بعد[٢] وأما عن الذي قام ببناء هذه المدرسة فهي السيدة جهة الطواشي الأجل جمال الدين ياقوت الظاهري زوجة السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الأشرف في القرن الثامن الهجري [٣] وعن إتجاه مبنى المدرسة وشكله وتفاصيله فهو كالتالي كما فصلت ذلك الوقفية حيث جاء فيها : "وصورة بنائها بوابة يمانية يدخل منها إلى مجاز يكون عن يمين الداخل يسلك فيه إلى عقد محمول عليه ساقية الماء إلى البركة المبارك فيها ثم إلى مجاز المطاهير [٤] والمغتسل هنالك ثم يكون عن يسار الداخل من الباب الخارجي مجاز –أيضاً ينفذ فيه إلى باب الدرجة التي يصعد فيها إلى أعلى المقصورة هنالك ثم يسلك أيضاً من الباب الخارجي إلى شمسة مرتفعة البنيان وغربي الشمسة المذكورة إيوان ويدخل من الشمسة إلى مقدم المدرسة المذكورة المباركة وهو مجلس مستطيل شرقاً وغرباً فيه ثلاثة عقود وفي المجلس ثلاثة أبواب أحداها شرقي يمر فيه إلى مصلى والثاني يماني يخرج منه إلى قاعة المدرسة المذكورة والثالث غربي يستطرق منه إلى مقصورة ذات محراب وفي المقدم المذكور أربعة شبابيك حديد أحدهما شرقي والثاني والثالث قبليان عن يمين المحراب ويساره والرابع غربي وبتمام

---

(١) عبد الرحمن حسن جار الله (الدكتور) ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية ص ٥ ، إصدار وزارة الثقافة ٢٠٠٤م

(٢) المرجع نفسه ص ٨٨ .

(٣) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٣ .

(٤) المطاهير : هي المياضئ وهي التي يُتوضئ منها أو فيها وأصل الكلمة من الوضاءة وهي الحسن ولفظ المطاهير هو السائد في كل من صنعاء وصعدة وظفير حجة [الفراهيدي : الخليل بن احمد (ت١٧٤هـ) كتاب العين جـ ٢ ص ٧٦ تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، مكتبة الهلال ، القاهرة بدون (ط ، ت) ، العبالي : يحيى لطف ، العمائر الدينية في مدينة ظفير حجة ، ص١١٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء ، كلية الاداب ، قسم الأثار ، ٢٠٠٨] .

هذه الصفات تمت صفت البنيان , ويليها من أرجائها . أي المدرسة . وجوانبها الرحاب الواسعة الممتدة الفضاء من الجهات الأربع المحيطة بها "" [١] أنتهى ومن خلال هذا النص التوثيقي الهام نلاحظ التالي :

أولاً : أن المدرسة اشتملت على المرافق المهمة وهي ساقية الماء الموصلة للماء إلى البركة وإلى المطاهير . للإستنجاء وقضاء الحاجة . وإلى المغتسل.

ثانياً : الشمسية المرتفعة البنيان والتي تعطي أضواء وهواء لرحاب المدرسة من الداخل , وهذا الشمسي طوله ٦.٢٦ متر في عرض ٤.١٥ متر [٢] .

ثالثاً : الاهتمام باتجاه المبنى وشكله وموقعه . فالاتجاهات متعددة الشرقي والغربي والجنوبي والقبلي ثم هناك وهذا هو المهم ما يلي المدرسة من جوانبها وهي كما أشارت الوثيقة الرحاب الواسعة الممتدة الفضاء ومن الجهات الأربع وهذا يعطي مزيداً من التهوية والإضاءة وحرية التحرك لمن يسكنون هذا المبنى المدرسي ولمزيد من التوضيح فإن المبنى المدرسي جميعه يقع في ١٧ متر طولاً في عرض ١٢ متر [٣] .

وإذا ماجئنا لنقارن هذا المبنى بعدد الدارسين والمدرسين فيه فإنه يمنحهم خصوصيات وحريات كبيرة لأن عدد المدرسين والطلاب قليل وهم معلم يعلم القرآن ثم أربعة أيتام يتعلمون القرآن وإمام ومؤذن وقيم وناظر [٤] وهذا بخلاف من يأتون للصلاة في أوقاتها.

رابعاً : الأهتمام با لعناصر الجمالية للمبنى حيث تم البناء بأحجار ذات ألوان متعددة الأسود والرمادي واللون الأحمر [٥] إضافة إلى العقود الجميلة والشمسي وغير ذلك .

خامساً : العناية بالإضاءة والتهوية والتدفئة وهذا واضح –جداً من خلال الشمسي ومن خلال الشبابيك المتعددة الاتجاهات التي تتبع المجلس الواسع والذي يعد مكان الدراسة وهذا يعطي كثيراً من التهوية في الصيف الحار , إضافة إلى أن مواد البناء تعطي تدفئة في الشتاء كونها لا تفقد الحرارة بسرعة .

سادساً : استخدام المواد الأولية المتاحة من البيئة في البناء وهي الأحجار[٦] وبأنواعها الثلاثة التي ذكرناها

---

(١) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٣

(٢) عبد الرحمن جار الله : ذي السفال مدينة الآثار ص ٩٤ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٩٤ .

(٤) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٥ , ١٦٦ .

(٥) عبد الرحمن جار الله : ذي السفال مدينة الآثار ص ٩٠ .

(٦) المرجع نفسه ص ٩٠ .

سابعاً : الاهتمام أيضاً بالجوانب الاجتماعية البيئية حيث نلاحظ أن المدرسة في معظمها خصصت لتدريس الأيتام الذي حدد الواقف عددهم بأربعة أيتام وخصص لهم ثلث سهم أوقاف المدرسة والثلث الثاني للموظفين والثالث للطعام داخل المدرسة للمقيمين فيها ومنهم الطلبة والمدرسين وغيرهم من الواصلين إلى المدرسة [١] ومن خلال ذلك كله نلحظ أن هذا المبنى اشتمل على الكثير من العناصر البيئية والتي تعطي تصوراً ونموذجاً رائعاً للعمارة الإسلامية في هذه القرون .

خامسا: النماذج العمرانية في مدينة زبيد:

الدار الناصري الكبير:

اخترنا في زبيد وبحسب ما توفر لنا من المصادر والمراجع الدار الناصري الكبير الذي تسمى اليوم القلعة وهذه الدار تعود إلى القرن الثامن الهجري حيث قام ببنائه السلطان الرسولي الملك الناصر أحمد بن الأشرف (ت ٨٢٧هـ)[٢] وهذه الدار تُعدُّ من الدور الكبيرة ومن أهم المآثر في المدينة التي لا زالت باقية إلى اليوم لأنه كان الدار السلطانية . الحكومية . وهو بني على مساحة كبيرة تشمل عدة مرافق , ففيه باب النصر والسجن والثكنات العسكرية (الأبراج) ومخازن السلاح ومخازن الحبوب ودار الإمارة والمالية ومقر الحاكم الشرعي [٣] وكما يشمل الدار الأسطبل للخيول ودار الضيافة وبئرين البئر الغربي والبئر التابع للحمام وكذلك المدخل الرئيسي للقصر والمنظرة والمدرسة الإسكندرية ثم أخيراً الفناء أو الرحبة الذي يتوسط الدار وهو الشمسي الكبير حيث يطل عليها الدار من جميع الجوانب وهذه الرحبه أو الشمسي عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب بطول ١٣٧ متراً ومن الشمال إلى الجنوب بعرض ٩٠ متر وفي هذه الساحة . الرحبة . أشجار متنوعة وعيون ماء مجلوبة من شرقي زبيد كما تحتوي على أحواض مياه ونوافير وشذروانات ما زالت إحداها موجودة بجوار الواجهة الشرقية لدار المالية [٤] أما خارج المبنى فهو ذو أربع اتجاهات أو واجهات , وعليه فإن هذا الدار عبارة عن مجمع معماري حكومي مدني وحربي كبير، غير أن الطابع المدني هو الغالب عليه لما يشتمل عليه بداخله من أشجار وعيون ماء وسواقي إضافة إلى الزخارف المنتشرة في أرجاءه , ومن خلال ما سبق يتضح لنا بأن هناك عناية كبيرة بالجوانب المعمارية البيئية في هذه الدار والمتمثلة في التالي :

---

(١) الوقفية الغسانية : وقفية المدرسة الياقوتية ورقة ١٦٦ .
(٢) ابن الديبع : بغية المستفيد ص ١٠٨ .
(٣) عبد الرحمن عبد الله الحضرمي : زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ص ٢٥, المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء , ١٩٩٣م .
(٤) الحداد :عبد الله عبد السلام (الدكتور) الإستحكامات الحربية لمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية دراسة أثرية أثرية معمارية ص ١٩١ , وزارة الثقافة صنعاء , ٢٠٠٤م .

أولاً : أن تهامة تختلف طبيعتها عن الطبيعة الجبلية ولذلك فإن مواد البناء التي استخدمت في الدار هي المواد المتاحة الموجودة في البيئة التي تتوافق مع البيئة وهي اللّبن والطين والآجر والنورة [١] والقضاض [٢] أما الحجارة غالباً فهي لا تتوفر في تهامة [٣] .

ثانياً : استخدمت في المبنى الأخشاب التي هي من نوع الطنب والسدر والعرعر للأبواب والشبابيك والسقوف وهذه أيضاً من المواد الأولية الموجودة والمنتشرة في وديان زبيد وتهامة وغيرها [٤] .

ثالثاً : المعالجات للحرارة أو ما يسمى بملاقف الهواء حيث عالج المصمم ذلك بالشبابيك الخارجية والمنتشرة عند الأبواب وفي القاعات والمناظر حيث بعضها خشبية وبعضها قصية من القص حيث تعد ستائر تلقف الهواء وهي مخرمة ومتقاطعة على شكل دوائر تسمح بدخول ضوء خافت للمبنى ودخول تيارات من الهواء مما يقلل من الهواء الحار المندفع نتيجة لحرارة الشمس الشديدة في الصيف [٥] .

رابعاً : رحبة الدار التي تشكل الحديقة والبساتين وعيون الماء وهي بمساحتها الواسعة تعطي منظراً جمالياً رائعاً للمبنى من الداخل وتعطي-أيضاً ظلالاً وهواءً منعشاً خاصة في فصل الصيف .

خامساً : الأهتمام بتوصيل المياه للمبنى وذلك واضح من وجود الآبار وعيون الماء المجلوبة من شرقي المدينة .

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن زبيد في هذه المدة كمدينة تمثل العاصمة الثانية للدولة الرسولية فإن السلاطين قد اهتموا بها كثيراً، فقد اهتموا بنظافتها ورصف شوارعها مما يعطي منظراً بيئياً نظيفاً وجميلاً فقد ذكر أنه في عهد السلطان المجاهد أمر" بتجديد أبواب مدينة زبيد الثمانية وزخرفة شوارعها حتى كانت كالنجم الزاهر " [٦] مما يعطينا اشارات هامه عن روعة الحضارة الإسلامية في عهد الدولة الرسولية التي اهتمت بنظافة شوارع المدن وتحسينها مثل اهتمامها بالإنسان وتعليمة

وختاماً فهذا جهد المقل فإن كنا قد أحسنا فمن الله تعالى وإن قصرنا فمن أنفسنا والحمد الله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) النورة : جير مُطفئ والجير يُعد المادة الرئيسية في تركيب القضاض وكانت النورة تستخدم أصلاً في تبييض الأسطح والجدران الداخلية والخارجية للمباني وأكثر ما كانت تستخدم لتبييض غرف المباني وصالاتها من الداخل [سلام : سلطان حسن، الحرف التقليدية الاسلامية في العمارة اليمنية ص ١٢٨ رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة قسم الديكور ، ١٩٨٩ م] .

(٢) القضاض : هو عبارة عن مادة مركبة من الجير (النورة) والرمل والحصى ويخلط مع الماء بنسب محددة ، ويتميز بصلابته ومقاومته للرطوبة والماء ، كما ان صلابته تزداد مع مرور الزمن ، وكان يستخدم كمادة لتكسية أسقف الأبنية وخاصةً المساجد وكذلك تكسية برك الماء وقنواته من الداخل [العبالي : العمائر الدينية ص٣٥] .

(٣) الحداد : الاستحكامات الحربية ص٣٦٦

(٤) المرجع نفسه ص ٣٦٧ .

(٥) المرجع نفسه ص – ٣٩٦ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٦٤ .

المصادر والمراجع :

- ابن الأزرق : أبي عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي (ت ٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك , بدون (ط . ت)
- با مخرمة : أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ) النسبة إلى المواضع والبلدان . تحقيق / محمد عبد الله المعلمي , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب جامعة صنعاء ٢٠٠٥م .
- جار الله : عبد الرحمن حسن (الدكتور) ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية , إصدار وزارة الثقافة والسياحة٢٠٠٤ م.
- الجندي : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ)السلوك في طبقات العلماء والملوك . تحقيق / محمد بن علي الأكوع , مكتبة الإرشاد صنعاء ط (الأولى) ١٩٩٣م.
- الحداد : عبد الله عبد السلام (الدكتور)الإستحكامات الحربية لمدينة زبيد منذنشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية دراسة أثرية معمارية , إصدار وزارة الثقافة والسياحة ٢٠٠٤م .
- ابن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ه)مسند الإمام أحمد , المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط (الأولى) بدون(ت) .
- الحضرمي : عبد الرحمن بن عبد الله ,زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ,نشر المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء , ١٩٩٣م .
- الخزرجي : أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر (ت ٨١٢هـ)
  - العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك , مخطوط مصور من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع
  - العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان أهل اليمن . دراسة وتحقيق / علي عبد الله صالح عبد الله , رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة صنعاء ٢٠٠٦م .
  - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . تصحيح / محمد بن علي الأكوع , مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء ط (الثانية) ١٩٨٣م.
- ابن خلدون:عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر , دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان , بدون (ط . ت) .
- دهمان : محمد أحمد ، معجم لألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١٩٩٠، دار الفكر المعاصر ، بيروت ،لبنان.
- ابن الديبع : وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ)
  - الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد , تحقيق / د . يوسف شلحد , مركز الدراسات والبحوث اليمنية صنعاء , ١٩٨٣م .
  - قرة العيون في أخبار اليمن الميمون , تحقيق / محمد بن علي الأكوع ط (الثانية) ١٩٨٨م .
  - نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية , تحقيق / أحمد راتب حموش , دار الفكر المعاصر بيروت ط (الأولى) ١٩٩٢م .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)
  - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تحقيق / عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط (الأولى)١٩٨٥م
  - سير أعلام النبلاء , تحقيق / محمد نعيم العرقسوسي , مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط (الثانية)١٩٨٢م .

-الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني(ت ٨١٦هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ عبدالستار أحمد فراج ، لجنة التراث العربي، دار الهداية، ١٩٦٥م، بدون(ط).
- سلام: سلطان محسن، الحرف التقليدية الإسلامية في العمارة اليمنية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، كلية الفنون الجميلة، قسم الديكور، ١٩٨٨م.
- السنيدي : عبد العزيز بن راشد (الدكتور) المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية ط (الأولى) ٢٠٠٣م .
ابن سيدة: ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت ٤٨٨ هـ) المخصص ، تحقيق/لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، بدون (ط . ت) .
- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , المكتبة العصرية بيروت لبنان , ١٩٩٧م
- ابن عبد الباقي : تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ) بهجة اليمن في تأريخ اليمن , تحقيق / عبد الله محمد الحبشي و محمد أحمد السنباني , دار الحكمة اليمنية صنعاء ط (الأولى) ١٩٨٨م .
- تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور (مؤتمر تعز على مر العصور) جامعة تعز , إصدار مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة تعز , ٢٠١٠م
- عمارة : نجم الدين عمارة ابن أبي الحسن الحمي اليمني (ت٥٦٩هـ) تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد , تحقيق / كاي سنة ١٨٩٢م , ترجمة د. حسن سليمان محمود , مكتبة الإرشاد صنعاء ط (الأولى) ٢٠٠٤م .
-العبالي: يحيى لطف، العمائر الدينية في مدينة طفير حجة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٨م.
-غالب: عبد الرحيم غالب (الدكتور) موسوعة العمارة الإسلامية، ط (أولى)، ١٩٨٨م، مكتبة جروس برس، بيروت، لبنان.
- ابن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ) الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب , دار الكتاب العلمية بيروت لبنان , بدون (ط . ت)
-الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت: ١٧٤هـ)، كتاب العين، تحقيق/ د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، القاهرة، بيروت (ط.ت).
- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري , تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن , دار الشعب القاهرة , بدون (ط . ت)
- ابن ماجه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه دار إحياء الكتاب العربي بيروت لبنان , بدون (ط. ت)
- مجهول : مؤلف عاش في القرن التاسع الهجري , تاريخ الدولة الرسولية في اليمن , تحقيق / عبد الله محمد الحبشي , دار الجيل صنعاء ١٩٨٤م .
- الوقفية الغسانية : مخطوطة مصورة من مكتبة د . عبد الرحمن الشجاع
- الهمذاني : حسين بن فيض الله (الدكتور) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن , دار المختار دمشق , بدون (ط . ت)
- ياقوت : ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٦٢هـ) معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان، بدون (ط . ت).

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY